دراسة الشخصيّة والتّشخيص (توصيف الشخصيّات) في روايات مابعد الاستعمارية (رواية ذاكرة الجسد: أُنموذجاً)

الدكتور پيمان صالحي[١]

استاذ مشارك وعضو هيئة التدريس بجامعة إيلام، إيران
salehi.payman@yahoo.com
peyman:bb1234567890

الملخّص

إختيار الشخصيّات المناسبة للقصّة هو أهم شيء يقوم به الكاتب، لأنّ الشخصيّة تعتبر محوراً وأساسَ القصّة التي تدور حولها الأحداث الأخرى كلها. بما أن عنصري الشخصيّة والتوصيف لهما مكانة خاصة في روايات مابعد الاستعمارية، حاول هذا البحث مستفيداً من منهجي الوصفي-التحليلي والأحصّائي أن يلقي الضوء على الشخصيّة وكيفية عرضها في رواية ذاكرة الجسد للروائية الجزائرية أحلام مستغانمي. تخبرنا النتائج أن الكاتبة خلال عملية الحوار، والسلوك، وتيار الوعي واستدعاء الشخصيّات الواقعية في شكل النماذج الأولية الفنية، والسياسية، والتاريخية، والأدبية، إضافة إلى خلق علاقة مناسبة بين الشخصيّات والعناصر القصصية الأخرى، استخدمت عنصر الشخصيّة في روايتها بشكل فنّي بالنظر إلى أن الشخصيّات في هذه الرواية تكون من النماذج الواقعية التي شاركت في الثورة الجزائرية والأحداث التي أعقبتها. استفادت الروائية من وجهة نظر الشخصيّات المحورية والفرعية لتقديم بعض الشخصيّات، وهذه الطريقة تصوّر الشخصيّة أكثر واقعياً وبالتأكيد لها تأثير أكبر. ثانياً في بعض الأحيان تطلق شخصيّات تجعل أنفسها أكثر تمييزًا من خلال أفعالها. وهذه العملية تلعب دوراً هامّاً في التزام الكاتبة بالمبدأ الحقيقي والأصلي لشخصيّات الرواية. إضافة إلى ذلك وفي نهاية البحث، توضّح الدراسة الحالية، من خلال تقديم العديد من الرسوم البيانية، انواع الشخصيّة في الرواية.

كلمات مفتاحية: أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، توصيف الشخصيّة، الرواية، مابعد الاستعمار.

[١]- استاذ مشارك وعضو هيئة التدريس بجامعة إيلام، إيران salehi.payman@yahoo.com

Summary

Choosing the right characters for the story is the most important thing the writer does, because the character is the axis and the basis of the story that all other events revolve around. Since the elements of personality and characterization have a special place in post-colonial novels, this research, using the descriptive-analytical and statistical methodologies, tried to shed light on the personality and how it is presented in the novel "Memory of the Body" by the Algerian novelist Ahlam Mostaghanemi. The results tell us that the writer during the process of dialogue, behavior, and the current of consciousness and summons of real characters in the form of artistic, political, historical, and literary prototypes, in addition to creating an appropriate relationship between characters and other anecdotal elements, used the character element in her narration in an artistic way given that the characters in This novel is one of the realistic models that participated in the Algerian revolution and the events that followed. The novelist benefited from the point of view of the central and sub-personalities to present some characters, and this method depicts the character more realistically and certainly has a greater impact. Second, sometimes she unleashes characters that make themselves more distinctive by their actions. This process plays an important role in the author's commitment to the true and original principle of the characters of the novel. In addition, at the end of the research, the present study clarifies, by presenting many diagrams, the types of personality in the novel.

Key words: Ahlam Mostaghanemi, body memory, characterization, novel, postcolonial .

المقدمة

بدأ ظهور الرواية في الجزائر بعد سنوات من بلدان عربية أخرى وبالرغم من ذلک، تم تقدّمها كان أكبر بكثير من البلدان الأخرى. البيئة الأدبية والثقافية بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٤م) أدت إلى زيادة في عدد الكتاب الجزائريين. عاد العديد من أولئك الكتاب الذين يعيشون في بلدان أخرى إلى بلادهم. واستمر ارسال المجموعات العلمية إلى بلدان أخرى، حيث أصبح الكتاب الشباب على دراية بالتيارات الأدبية في العالم، بما في ذلك الكتابة، وبادروا بكتابة روايات عديدة. تعدّ أحلام مستغانمي من كتاب الروايات الجزائريين الناجحين. هي بنت الزعيم الكبير للثورة الجزائرية محمد شريف مستغانمي. جرّبت مراراً خلال النضال سجن والدها، وهذا جعلها شخصيّة ملحمية تركت آثارها في أعمالها الأدبية. كانت أحلام أول امراة تُرجمت آثارها العربية إلى الإنجليزية، وأثارت دوياً في العالم العربي منذ نشرت روايتها ذاكرة الجسد، والتي حصلت على العديد من الجوائز الأدبية منها جائزة «نجيب محفوظ» عام ١٩٩٨ و جائزة «نور» أفضل عمل أدبي للنساء في العالم العربي عام ١٩٩٦م.

١-١- ضرورة البحث وأسئلته

بما أن الشخصيّة تعدّ إحدى عناصر القصّة الهامّة، وفي الواقع اختيار الشخصيّات المناسبة للقصّة يكون محوراً و أساسَ القصّة التي تجري كل الأحداث الأخرى حولها، ومن جهة أخرى بالنظر إلى مكانة رواية ذاكرة الجسد المرموقة في الأدب مابعد الاستعماري، تمثّل الشخصيّة دوراً بارزاً فيها. فلهذين السببين حاول هذا البحث مستفيداً من منهجي الوصفي- التحليلي والأحصّائي تسليط الضوء على عنصر الشخصيّة في رواية ذاكرة الجسد وكيفية عرضها كي يجيب على الأسئلة التالية:

١- ما هي طرق توصيف الشخصيّة في رواية ذاكرة الجسد؟

٢- تنتمي شخصيّات هذه الرواية إلى أي نماذج من الشخصيّة؟

٣- ما هو دور العناصر القصصية الأخرى في توصيف شخصيّات الرواية هذه؟

١-٢- خلفية البحث

حتى الآن تم إجراء العديد من البحوث حول رواية ذاكرة الجسد من بينها:

مقال "لأحمد رضا صاعدي" وأخرين، بعنوان "موازنة بنية الاسترجاع الزمني في رواية دنيايين لكُلي ترقي ورواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي" نُشِرَ في مجلة الدراسات القصصية للأدب الفارسي واللغات الأجنبية لجامعة بيام نور، فصلية محكمة، العدد الـ٢ شتاء ١٣٩٢ش. ركزت هذه المقالة

على الاسترجاع الزمني للتقنيات الموظفه في رواية "ذاكرة الجسد" واستنتجت أنّ وجود الجانب العاطفي والتحليلي لبطلها هو أكثر تعقيدا من رواية "دو دنيا".

مقال بعنوان "دراسة سوسيونصية في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي" نُشِرَ في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد ١٩ خريف سنة ١٣٩٣ ش. درست الباحثة "فاطمة أكبري زادة" و"زملاؤها" الرواية بناءً على الرواية المونولوجية والرواية البوليفونية بحيث اعتبروها متعددة الأصوات بالتعبير عن أيديولوجيات الكاتبة وأفكارها، وعدّوا الأساليب الكلامية لهذه الرواية متعددة في الإدلاء بالمستويات السياسية، والاجتماعية، والنفسية، والتاريخية.

مقال بعنوان "وظيفة مكان القصّة بتقديم عناصر المقاومة، رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي نموذجا" نُشِرَ في مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية علمية محكمة، العدد الـ ٣٨ ربيع سنة ١٣٩٥ش. حاولت الباحثة "صديقة زودرنج" و"زميلها" أن يبسطا دور عنصر المكان بأنواعه وذلك بالتعبير عن مقاصد أدب المقاومة فتشتمل دلالات المقاومة على التضحية والشهادة والشجاعة والنضال في سبيل الوطن بحيث صورتها كاتبة الرواية عبر عنصر المكان.

مقال بعنوان "سيميائية أسماء الشخصيّات في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي الشخصيتان الرئيسيتان نموذجا" نُشِرَ في مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية علمية محكمة، العدد الـ٤٠ خريف ١٣٩٥ش. درست الباحثة "هاله باديندە" و"زملاؤها" سيميائية الشخصيتين الأصليتين على ثلاثة مستويات؛ المستوي الصوتي والمعجمي والدلالي. درست هذه المقالة السيميائية والعلاقة بين شخصيتين رئيسيتين في القصّة وهما خالد وأحلام ومدى نجاح الراوية في نقل أفكارها إلى القارئ. فاستنتج الباحثون أنّ اسم "خالد" يرمز إلى البقاء والاستمرار، واسم "حياة "يرمز إلى الحب والوطن.

ولكن استناداً إلى الدراسات المنهجية، لم تتم دراسة حول الشخصيّة وطرق توصيفها المختلفة في رواية ذاكرة الجسد وكذلك تأثير عناصر القصصية الأخرى على عنصر الشخصيّة في الرواية هذه. لذلك بالنظر إلى أن هذه الرواية تركز على معظم القضايا التي وقعت ما بعد الاستعمار، فإن لعنصر الشخصيّة دور هامّ فيها ويبدو أن هذا البحث ضروري.

١-٣- خلاصة رواية ذاكرة الجسد

تتحدث رواية «ذاكرة الجسد» الجزائرية لأحلام مستغانمي عن «خالد بن طوبان» أحد مقاتلي الثورة الجزائرية الذي فقد أحد ذراعيه أثناء جهاده ضدّ الفرنسيين وانتقل بعد ذلك إلى باريس ليمارس فنّ الرّسم. يلتقي هناك فتاة جزائرية في معرضه الذي أقامه، ثم يكتشف أن الفتاة ابنة قائده «سي

طاهر» الذي كان من الثوار، وكان خالد يرى فيه الأخ، والجار، والجندي المدافع عن وطنه. وفي إحدى المعارك يصاب خالد في ذراعه اليمنى. فاقتضت الضرورة أن تبتر، وبالتالي أن يحال خالد إلى الحياة المدنية حيث كانت تونس ملجأ المعطوبين من جيش التحرير. وعند مغادرته الجبل يأتيه «سي طاهر» ليطمئن عليه ويودعه، ويحمله في الوقت نفسه أمانة إلى أمّه، وورقة فيها اسم المولودة منذ شهور، وكلّفه بتسجيلها في دار البلدية وبعد أربع سنوات يسقط سي طاهر شهيداً في ساحة الفداء. يتعلّق خالد بابنته «حياة» (أحلام) ويعشقها، ويتذكّر من خلاله قائده الذي تعلّق به قلبها، وأمّه التي افتقدها، ويتذكّر كذلك مدينته الجزائرية «قسنطينة» ولكن الفتاة تتزوّج من ضابط جزائري كبير، وثري ذي نفوذ في الحكومة الجزائرية فيصاب خالد باليأس، والكآبة، وتوجّهت الفتاة دعوة إلى خالد للحضور في حفلة زواجها في قسنطينة ليزورها مرة أخرى ثمّ يرحل خالد إلى قسنطينة و يزور مسقط رأسه بعد مضي سنوات عديدة.

تحليل الموضوع

٢ – الشخصيّة وأنواعها في رواية ذاكرة الجسد

الشخصيّة ركن رئيس من مكوّنات الرواية، هي مدار المعاني الإنسانية الواقعية. فلايسوق الروائي أفكاره وقضاياه منفصلة عن مجتمعه: لأنّ «الشخصيّة تعدُّ ركيزة الروائية الأساسية في الكشف عن القوي التي تتحرّك الواقع وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها» (حسن عدوان، ٢٠١٤: ٦) يبذل الروائيون جهدهم البالغ كي يرسموا أبعاد شخصيّات رواياتهم بصورة دقيقة.

تُعدُّ الشخصيّة من أهم العناصر القصّة فهي العنصر الأساس لفهم مفهوم السرد. تختلف الشخصيّات الروائية بعضها عن بعض في الصفات، والأدوار، والأهمية، لذلك قام نقاد الرواية بتقسيم الشخصيّة إلى نوعين: الرئيسيون: وهم الأبطال، ويظهرون في أكثر مواقع الرواية. والثانويون، الذين يظهرون في بعض المشاهد ثم يغيبون في المشاهد الأخرى. كما أن هناك تقسيماً آخر للشخصيّات ويكثر تداول كلمات تصف الشخصيّات من حيث طريقة العرض. فمن هذه الكلمات: مدوّرة، ومسطّحة، أو نامية، وثابتة. والحقيقة أنّ هذه الكلمات استخدمها لأول مرة فورستر في كتابه "وجوه الرواية".

ومن المعروف أن الرواية عنيت عناية كبيرة بالشخصيّة، لاسيما في رسم ملامحها الخارجية، فضلاً عن طبقتها الاجتماعية، وعلاقاتها بالأخرين، بهدف جعلها كالإنسان في عالم الواقع.

تجسّدت مستغانمي أنواع الشخصيّة في عملها الأدبي أمام أعين القارئ مثل الشخصيّات الواقعية في المجتمع. وفي هذا الأثناء «يجب على الكاتب أن يفكّر في عوامل ثلاثة لعرض شخصيّة مقبولة:

١- يجب على الشخصيّة أن تكون ثابتة في سلوكها، ٢- يجب أن يكون لدي الشخصيّات للقيام بما تؤمر به، ٣- أن يظهر الشخصيّات على المشهد بشكل حقيقي. (بروين، ١٣٧٦: ٤٩).

ففي هذا القسم من بحثنا، يتمّ فحص أنواع الشخصيّة في رواية ذاكرة الجسد:

٢-١- الشخصيّة الثابتة

الشخصيّة الثابتة (المسطّحة[٢]) فهي غير معقدة ولا توجد صعوبة للوصول إلى أفكارها حيث إنها واضحة معروفة. فهي لا تتمتع بالديناميكية التي تتمتّع بها المدورة، ولاتفصح عما في عالمها الداخلي، فلا يستطيع القارئ رؤيتها إلا من جانب واحد. كان يطلق عليها في القرن السابع عشر الشخصيّات الفكاهية وهي نماذج من الشخصيّات الرمزية. (زيتوني، ٢٠٠٢م: ١١٤؛ خليل، ٢٠١٠م: ٢٠٦-٢٠٧) بعبارة أخرى الشخصيّة الثابتة هي: «الشخصيّة التي تتغير قليلاً جدّاً أثناء الأحداث التي تجري في الرواية أو لا تتغير أبداً» (فولادي تالاري، ١٣٧٧: ٦٢)

تعتبر خالد، الشخصيّة الثابتة في القصّة، لديه هوية ثابتة من بداية الرواية حتي انتهاءها و لم تتغير شخصيّته طوال أحداث الرواية أبداً. وبحسب قول أحلام لايزال قائماً على خلال الثورة: «أتدري أنّك لم تخرج أبداً من فترة الثورة، ولذا أنت تشعر برغبة في أن تعطيني اسماً حركياً حتّى قبل أن تحبّني» (مستغانمي، ٢٠١٢: ١١٠) فقد احتفظ بشخصيّته النضالية حتي بعد مرور سنوات من القتال ضد العدوان الفرنسي ولايزال قاوم خونة الوطن ويري نفسه متفوقاً على أن يستسلم أمام الفتوة: «لم تكن تفهم أنّه لميكن ممكناً بعد إليوم، بعد كل هذه السّنوات، وكلّ هذا العذاب، أن أطأطي رأسي لأحد. أريد أن أبقي هكذا أمامهم، مغروساً كشوكة في ضميرهم» (المصدر نفسه: ٣٦٩)

سي طاهر نموذج كامل للشخصيّة الثابتة من بداية دخوله في المشهد حتي لحظة استشهاده، فهو قاتل الاستعمار من أجل تحرير وطنه الجزائر دون أي تغيير في طموحاته. ويري الشهادة هي شرفه الوحيد وسلاحه، كانت ملكه الوحيد: «مات (سي طاهر) طاهراً على عتبات الاستقلال. لا شيء في يده غير سلاحه... ولاشيء على أكتافه سوي وسام الشهادة. الرموز تحمل قيمتها في موتها... » (المصدر نفسه: ٤٥)

كذلك عتيقة زوجة حسان امرأة ذات الشخصيّة الثابتة غير راضية عن الحياة في مدينة صغيرة و تقليدية وستبذل قصارى جهدها طوال القصّة للوصول إلى أُمنيتها. يشير عدة مرّات خالد إلى شخصيّة عتيقة التي تميل إلى الحداثة وسلوكها في هذا الصدد: «فقد كانت عتيقة تشارك أحياناً في سهرتنا، وتحاول أن تستنجد بي، بصفتي رجلاً متحضّراً قادماً من باريس، لأقنع أخي بالتّخلّي عن هذا البيت

[٢] - Flat Character

العربيّ القديم، وهذه الطريقة المختلّفة في العيش. وتكاد تعتذر لي عن كلّ الأشياء التي كانت تبدو في نظري جميلة ونادرة» (المصدر نفسه: ٢٩٩)

٢-٢- الشخصيّة المدوّرة (الديناميكية)

في العديد من القصص والروايات نحن نواجه الشخصيّة المدوّرة وكما ذكرنا هي: «الشخصيّة التي تتأثّر بمواقف مختلفة أثناء أحداث القصّة ومن الاختلاط مع الآخرين و تتغيّر» (نجم، ١٩٧٩: ١٠٤).

بعبارة أخرى الشخصيّة المدورة هي الشخصيّة التي تنهض بدور يتطلب الحركة والتغيير من فصل لآخر ومن حدث لآخر. فهي تؤثر في الحوادث وتتأثر بها وتتغير مع تقدم الزمن، ولا تبقي على وتيرة واحدة.

سي شريف نموذج للشخصيّة الديناميكية على الرغم من ماضيه الزاهر في نضاله ضد الاستعمار فالآن هناك خطر تغيير هويّته ومواءمة نفسه مع السياسيين، وفي النهاية، مع تغيّر الظروف الجديدة للمجتمع، تغيّرت الشخصيّة وانضمّ إليهم: «كان فيه شيء من هيبة قسنطينة وحضورها، شيء من الجزائر العريقة وذاكرتها، شيء من سي طاهر، من صوته وطلّته... وكان في أعماقه شيء نقيّ لم يلوّث بعد برغم كل شيء. ولكن حتّى متى... كنت أشعر أنّه محاط بالذّباب وبقذارة المرحلة. وكنت أخاف أن يتسلّل إليه العفن حتّى العمق ذات اليوم» (مستغانمي، ٢٠١٢: ٢٣٢)

كذلك سي مصطفى يعدّ من الشخصيّات الديناميكية التي يجدر بنا أن نذكرها. فهو الذي تأثّر بالظروف السائدة في المجتمع ونأي بنفسه هويته النضالية التي حملها وكان يبحث عن موقف أفضل لنفسه، بعد أن كان يمتلك صفات أخلاقية عالية ومصلحة ذاتية فالآن للوصول إلى رغباته المادية رافق الناهبين من تراث وطنه ففقد مكانته وقيمته للآخرين: «كان سي مصطفى صديقاً مشتركاً لي ولسي شريف منذ أيام التحرير. فقد كان ضمن المجموعة التي كانت تحت قيادة سي طاهر... ليبقي حتّى الاستقلال في صفوف جيش التحرير، ويعود برتبة رائد. كان يوماً بشهامة وأخلاق نضالية عالية. وكنت في الماضي أكنُّ له احتراماً وودّاً كبيرين. ثمّ تلاشى تدريجياً رصيده عندي. كلّما امتلأ رصيده الآخر بأكثر من طريقة وأكثر من عملة، مثله مثل من سبقوه إلى تلك المناصب الحلوب التي تناوب عليها البعض بتقسيم مدروس للوليمة» (المصدر نفسه: ٨١)

تعتبر أحلام من الشخصيّات الديناميكية الأخرى التي من وجهة نظر خالد تغيّرت هويتّها فجأة ومن خلال زواجها من رجل سيّئ السمعة، الراغب إلى الغرب و بعملها هذا لم تشوه سمعة والدها فقط بل تكيف مظهرها حيث يشبه ظهور النساء الغربيات. هذه التغييرات من وجهة نظر خالد لايمكن

تجاهلها لأن أحلام لم تكن مجرد امرأة بل كانت رمز الوطن الذي مات من أجل تحريرها العديد بمن بينهم والدها. «كيف يمكن أن تمرّغي اسم والدك في مزبلة كهذه...؟! أنت لست امرأة فقط، أنت وطن، أفلا يهمّك ما سيكتبه التاريخ يوماً؟ (المصدر نفسه : ٢٧٦-٢٧٧)

وفي مكان آخر يقول عنها: «هل غير الزواج حقّاً ملامحك وضحكتك الطفولية، هل غير ذاكرتك أيضاً...؟! ها أنت ذي أمامي، تلبسين ثوب الردّة. لقد اخترت طريقاً آخر. ولبست وجهاً آخر لم أعد أعرفه. وجهاً كذلك الذي نصادفه في المجلّات والإعلانات، لتلك النساء الواجهة، المعدّات مسبقاً لبيع شيء ما» (المصدر نفسه: ١٧)

٢-٣- الشخصيّة النمطية (المكرّرة)

واحدة من الشخصيّات التي تمثّل في بعض الروايات، الشخصيّة النمطية، وهي: «الشخصيّات التي تشكّل النسخة المتكرّرة من الشخصيّات الأخرى. الشخصيّة النمطية لاهويّة لها. مظهرها مألوف، وحديثها متوقّع، وعملها معروف» (ميرصادقي والآخرون، ١٣٧٧هـ.ش: ١٧٩)

تعدّ أم خالد، أم، وجدة أحلام من الشخصيّات النمطية لأنها مع سلوكياتها النمطية والمتكرّرة للأمومة لم تخرج من السلوك المحدد لجميع الأمهات. ولهذا السبب، فإنها تعرض سلوكيات متكرّرة، ومألوفة، وخاصة لجميع الأمهات: «كان لتلك المرأة طريقة واحدة في الحبّ اكتشفت بعدها أنّها طريقة مشتركة لكلّ الأمّهات عندنا. إنّها تحبّك بالأكل» (مستغانمي، ٢٠١٢: ١٠٦)

حسب تعاريف أحلام عن جدتها حول التعبير عن ذكريات والدها، تصفها كنموذج تحتذى بها الأمهات الأخريات في حبّهن لأطفالهن: «تحدّثني عن أبي. ولكنّها لم تكن تقول لي عنه أكثر ممّا تقوله أمّ عن ابنها. كان الطاهر هو الأجمل... هو الأروع... هو الإبن البارّ الذي لم يجرحها يوماً بكلمة و...» (المصدر نفسه: ١٠٧)

٢-٤- الشخصيّة الأصلية

كانت الشخصيّة في الرواية التقليدية هي كل شيء «بحيث لا يمكن أن نتصوّر رواية دون طغيان شخصيّة مثيرة يقحمها الروائي فيها؛ إذ لا يضطرم الصراع العنيف إلا بوجود شخصيّة، أو شخصيّات تتصارع فيما بينها، داخل العمل السردي.» (مرتاض، ١٩٩٨م: ٧٦) وفي نفس الاتجاه هناك بطل كانت الرواية التقليدية تذهب في رسم ملامحه والتعظيم من شأنه كل مذهب. وقد قيل في تعريفه بأنه «ذلك الذي يلعب دوراً رئيسياً في القصّة أو المسرحية، وتنطوي نفسه على صفات وقوي يتعاطف معها القراء أو النظارة دون غيره من الشخصيّات.» (وهبة، ١٩٧٤م: ٢١٠) إذن الشخصيّة الأصلية: «هي الشخصيّة التي اساس القصّة وتجذب وجهة نظر القارئ» (ميرصادقي والآخرون،

١٣٧٧: ١٧٦). خالد هو الشخصيّة الرئيسية في الرواية التي تجري أحداث الرئيسية حولها؛ بالرغم من أن لأحلام و سي طاهر دور هامّ في القصّة.

٢-٥- الشخصيّة الفرعيّة

ونحن نجد إزاء الشخصيّة الأصلية فى الرواية، شخصيّة أخرى تسمّى الشخصيّة الفرعية. وهي «الشخصيّة التي كانت مهمته تعريف المزيد و الكامل من الشخصيّة الأصلية»

(بستاني، ١٣٧٠: ٢٠) في هذه الرواي يعدّ زياد، وحسان، و سط طاهر، وسي مصطفى، وأمّ خالد، وكاترين و... عرفت شخصيّة خالد و ساهمت في تطوير القصّة وقامت بدورها بشكل واحد.

٢-٦- الشخصيّة النوعية

من الشخصيّات الأخرى التي بإمكاننا أن نرى تلعب دوراً في الرواية، هي الشخصيّة النوعية التي: «تمثّل خصائص مجموعة أو طبقة معينة من المجتمع تميزها عن الأخرين» (داد، ١٣٨٢هـ.ش: ٣٠٧). هذه الشخصيّة هي نموذج لأمثالها في العالم الحقيقي. سي طاهر نموذج من الشخصيّة النوعية. سي طاهر الذي قدم كقائد حرب فعال يبدو أن وجوده ومن شابهه لا غنى عنهم للثورة: «وقتها كنت أجد في تلك المواقف شيئاً من الدكتاتورية، وغرور القائد. ثمّ مع الزّمن، أدركتُ أنّه كان لابدّ للثورة في أيامها الأولى من رجالٍ مثل سي الطاهر، بذلك العناد»

(مستغانمي، ٢٠١٢: ٣٤١)

في هذه الرواية يعتبر زياد الكاتب الشاب الفلسطيني من الشخصيّات النوعية المثالية على الشعراء الذين كانوا يقفون بأسلحة القلم و مع كل قوتهم لمواجهة غزو الأعداء على وطنهم: «لقد عرفتُ شاعراً فلسطينياً كان يدرّس في الجزائر. كان على وشك الزّواج من إحدى طالباته إلى أحبّها بجنون، عندما قرّر فجأة أن يتخلّى عن كلّ شئ ويعود إلى بيروت ليلتحقَ بالعمل الفدائي» (المصدر نفسه: ١٤٥)

٣- التّشخيص وطرقها المختلفة في رواية ذاكرة الجسد

كما ذكرنا، إنّ أهم شيئ بالنسبة للكاتب هو اختيار الشخصيّات المناسبة للقصّة: «خلق الشخصيّات التي يمكن للقارئ أن يراها في أي مكان يسّمي التّشخيص أو تمثيل الشخصيّات»

(رضائي، ١٣٧٨هـ.ش: ٤٦).

وبالنظر إلى دور الشخصيّة البارز في الرواية، يعتبر البعض أن كل نجاح وجمال قصّة يعتمد على كيفية التّشخيص فيها: «ويعتبرون أن القصّة لم تنجح إلا عندما تمّ عرض شخصيّاتها تماماً كالمسرحية التي تظهر شخصيّاتها وهي تحاور وتلعب دورها.» (برين، ١٣٨١: ٤٦).

لقد استفادت مستغانمي من طريقي مباشر وغير مباشر في تشخيص روايتها:

٣-١- التّشخيص بالطرق المباشرة

كان الكاتب يعمل في التّشخيص بشكل صريح عادةً ويعبّر عن الشخصيّة وهو يحلّلها أو يعمل هذا بطريق مباشر على لسان شخصيّة أخرى تمثّل في القصّة ويصف الشخصيّة الرئيسية (سليماني، ١٣٨٦: ٤٨). لقد استفادت الكاتبة في هذه الرواية من وجهة نظر شخصيّاتها الرئيسية والفرعية لتوصيف الشخصيّة، ونحن نجد أن هذه الطريقة تصوّر لنا الشخصيّة بشكل حقيقي أكثر فأكثر ولابدّ أن تأثيرها كبيراً جدّاً بالنسبة إلى طرق أخرى في التّشخيص. ولهذا كثيراً ما استفادت مستغانمي من الطريق المباشر، حيث يتمّ تقديم معظم الشخصيّات بواسطة خالد. على سبيل المثال يقول عن شخصيّة سي طاهر كقائد حربي: «كان سي الطاهر استثنائياً في كلّ شيء، وكأنّه كان يعِدُّ نفسه منذ البدء ليكون أكثر من رجل. لقد خُلق ليكون قائداً» (مستغانمي، ٢٠١٢: ٣٢)

كما أنه يصف شخصيّة سي مصطفى مباشراً و يصفه بأنّه رجل لديه الشجاعة و الأخلاق النضالية في زمن الحرب: «كان يوماً بشهامة وأخلاق نضالية عالية» (المصدر نفسه: ٨١)؛

كما التقينا بشخصيّة كاتب شاب يدعى ياسين الذي قضى تجربته الأولى للسجن من قبل الفرنسيين، جعله إلى جانب خالد، يتم تحديد خصائصه الأخلاقية مباشرة: «إنّ ياسين كان مدهشاً دائماً. كان مسكوناً بالرّفض وبرغبة في التّحريض والمواجهة» (المصدر نفسه: ٣٢٥)

كما نشاهد ميزات الرجولة، والقيادة، والشجاعة، والأخلاق النضالية، والتمرّد قُدّمت بشكل مباشر ويتم استخدام هذه الطريقة لتوصيف معظم الشخصيّات في الرواية هذه.

٣-٢- التّشخيص بطريق غير المباشر

كان أسلوب سرد معظم الروايات الطويلة هو الأسلوب المباشر ولكن في هذه الرواية استفادت الكاتبة أيضاً من طرق غير المباشرة لتوصيف الشخصيّة. ففي توصيف غير المباشر أو الضمني يجب أن يستنتج الجمهور لأنفسهم ما هو شكل الشخصيّة من خلال أفكار الشخصيّة وأفعالها وخطابها (اختيار الكلمات، طريقة التحدث)، المظهر الجسدي، السلوكيات والتفاعل مع الشخصيّات الأخرى، بما في ذلك ردود فعل الشخصيّات الأخرى على ذلك الشخص بعينه؛ في الواقع، يجب على الشخصيّة أن تصف نفسها للقارئ مستعينة بطريقين: السلوك والحوار. يقول لئونارد بيشاب: «يجتهد الكاتب عن طريق الحوار أن يبتدأ ارتباط الشخصيّات بعضها ببعض، أن يصدّقه، أن يدومه أو أن ينقطعه. إضافة على ذلك كان الحوار يعدّ من أهم أسباب الكاتب حيث يؤيد صحّة كلامه في شأن الشخصيّات ويصدّقه، إذ ادعي كاتب بأن شخصاً مبغوضاً في الحقيقة، أعلن اعتقاده فقط. أمّا إذ اعلنه عن طريق الحوار الذي يجري بين الشخصيّات، فقد بين حقيقة مقنعة» (بيشاب،١٣٩٠هـ.ش:١٥٩)

تتحدّث شخصيّات القص، مثل الشخصيّات الحقيقية، مع بعضها البعض وخلال تصريحاتها، تكشف عن ميزاتها الشخصيّة للقارئ. «الحوار هو خطاب الشخصيّات والذي يمكن أن يتبادل بين أشخاص القص أو أن يتحقّق في ذهن شخصيّة واحدة» (داد، ١٣٨٢هـ.ش: ٢٥٤)

كان عنصر الحوار في رواية ذاكرة الجسد وفير جدّاً وفي كثير من الأحيان، تكون المحادثات هادفة وتعبّر عن موقف شخص واحد تجاه الشخصيّات أو الأحداث التي تحدث. من خلال العديد من هذه المحادثات، يصبح القارئ على دراية بالمشاعر، والعواطف، والطبقة الاجتماعية للشخصيّة.

يلعب حوار خالد مع أحلام، وكاترين، وزياد، وسي شريف، وسي مصطفى و... دوراً رئيسياً في الكشف عن الزوايا الخفية لشخصيّته وهؤلاء الأشخاص.

في محادثة بين خالد وحسن عن ناصر، أخي أحلام، يظهر هويته كرجل صالح يعارض زواج أخته من سياسي فاسد وقد تمّ ذلك من قبل عمه لتحقيق مكاسب شخصيّة: «قال: تصوّر بماذا طلع لي ناصر اليوم؟ إنّه لايريد أن يحضر عرس أخته... قلت وأنا أزداد فضولاً: لماذا؟ قال؟ إنّه ضدّ هذا الزواج... ولا يريد أن يلتقي بالضيوف ولا بالعريس... ولا حتّى بعَمّه. كدت أقاطعه «مع الحق»... ولكنّني سألته: وأين هو الآن؟ قال: لقد تركته في المسجد. قال لي إنّه يفضّل أن يقضي يومه هناك بدل أن يقضيه مع هؤلاء «القوّاد... »! (مستغانمي، ٢٠١٢: ٣٤٠-٣٣٩)

٣-٣- التّشخيص في مرآة العمل والسلوك الدرامي

تساعد تصرّفات الشخصيّات في تحديد هويتّها الأصلية. ففي هذه الطريقة كان الكاتب لايبادر بتوصيف الشخصيّات مباشراً «لكنّه يحفز شخصيّات القصّة ويعرّف القارئ بخصائصها من خلال أفعالها وسلوكها.» (يونسي، ١٣٨٨هـ.ش. ٣٠١)

هذه هي الطريقة التي يُمنح بها القارئ الفرصة لتقييم الجوانب الخفية للشخصيّات. مثال على ذلك، هو إصرار خالد على عدم قبول وظيفة حكومية لعدم الانضمام إلى المجموعة السياسية المشؤومة، مما يؤدي القارئ إلى شخصيّة خالد المتمردة ضد المضطهدين: «إيه حسان... لم تكن تفهم أنّ هذا هو الفرق الوحيد بيني وبينهم. أنّه لم يعد ممكناً إليوم، بعد كلّ السّنوات، وكلّ هذا العذاب، أن أطأطي رأسي لأحد... ولو مقابل أية هبة وطنية» (مستغانمي، ٢٠١٢: ٣٦٩)

كما كاترين، عشيقة خالد الفرنسية، تعرّف نفسها باختيار نوع الطعام الذي تتناوله كمثال على الطبقة النسائية إليوم. النساء اللاتي لا يمكن أن توفّرن الأمن اللازم ليعيش معهن الرجل. لأن امرأة خالد المفضلة هي امرأة تخلق مكاناً مريحاً لزوجها وأولادها مع التدبير المنزلي وتحضير الطعام: «ولكن

شعرت لحظتها وهي جالسة في الأريكة تلتهم (سندويشات)، أنّها امرأة كانت دائماً على وشك أن تكون حبيبتي، وأنّها هذه المرّة كذلك لن تكونها! إنّ امرأة تعيش على «ساندويشات» هي امرأة تعاني من عجز عاطفي، ولذا لا يمكنها أن تهب رجلاً ما يلزمه من أمان» (المصدر نفسه: ٧٦)

٣-٤- التّشخيص من خلال وصف المظهر

استفادت الكاتبة من الوصف بشكل كبير، على الرغم من أن هذه الطريقة وحدها لا تكفي للتعبير عن الشخصيّة، ولكن جنباً إلى جنب مع غيرها من المؤشرات، فإنه يعمل بشكل جيّد للغاية. يصف خالد وجه أحلام، ويقدّم صورة مفهومة لها للقارئ: «كنت فتاة عادية، ولكن بتفاصيل غير عادية، بسرٍّ ما يمكن في مكان من وجهك... ربّما في جبهتك العالية وحاجبيك السميكين والمتروكين على استدراتهما الطبيعية» (المصدر نفسه: ٥٤)

و«سي مصطفى»، على الرغم من بساطة سلوكه، فإن مظهره يكشف عن هويّته الحقيقية: «ها هوذا إذن (سي مصطفى) يبدو طيباً ورجلاً شبه بسيط، لولا بدلته الأنيقة جداً» (المصدر نفسه: ٢٣١)

٣-٥- التّشخيص (توصيف) عن طريق التسمية

واحدة من الأعمال الدقيقة في التّشخيص هي تسمية شخصيّات القصّة: «حينما تحظ القصّة من الحبكة الشخصيّة، تلعب هذه التسمة دوراً أساسياً. في العديد من الروايات، هذه الأسماء التي تبدو غير حساسة، تحمل الجزء الأكبر من العبء الدلالى للسرد» (شيري، ١٣٨٧: ١٥)

هذا النوع من التّشخيص مهم بشكل خاص إذا تم استخدامه للشخصيّات الرئيسية في القصّة، وتلعب دوراً أساسياً في تحديد هويات الأفراد؛ حيث تسمية أحلام من وجهة نظر خالد ترتبط مباشرة بالظروف القاسية للبلاد، الوضع المضطرب، اندلاع الحرب بين الثوّار والفرنسيين، وظروف غير الملائمة التي تعيش فيها أبناء وطنه: «بين ألف الألم وميم المتعة كان اسمك. تشطره حاء الحرقة... ولام التحذير. فكيف لم أحذر اسمك الذي ولد وسط الحرائق الأولى، شعلة صغيرة في تلك الحرب. كيف يمكن لم أحذر اسماً يحمل ضدّه ويبدأ بـ «أح» الألم واللّذة معاً. كيف لم أحذر هذا الإسم المفرد- الجمع كاسم هذا الوطن، وأدرك منذ بدأ أنّ الجمع خلق دائماً ليقتسم!» (مستغانمي، ٢٠١٢: ٣٧)

هذا و من ناحية أخرى، خالد نفسه الذي يعدّ الشخصيّة الرئيسية في هذه الرواية، يدلّ على خلود البطل و المقاتلين الجزائريين و رمز للدعوة لمواصلة طريقهم وإتباع افكارهم.

٣-٦- توصيف الشخصيّة من خلال تيار الوعي

يعدّ تيار الوعي من الطرق الجديدة في عرض الشخصيّات. «كان الكاتب في تيار الوعي يجعل أفكار شخصيّات القصّة ومدركاتها جنباً إلى جنبٍ دون أي نظم أو غاية أو قصد خاص؛ ولهذا تتجلّي لنا الأفكار والأحاسيس دون أي مقارنة منطقية، ويزول الختلاف بين النوم واليقظة وتأتي القواعد اللسانية بشكل شذر ومذر». (داد، ١٣٨٢هـ.ش.: ١٤٩)

لقد استفادت الكاتبة في أثرها من تقنية تيار الوعي بشكل تدفّق الذكريات لتعريف بعض الشخصيّات وكيفية حياتها. واستفادت من المنولوج الداخلي وفي جميع هذه الأمور تستفيد الروائية منها حيث كانت الشخصيّات في حالة من التردّد أو تقع في جوّ مدهش، وتخلو مع نفسها و تعبر عن مشاعرها المبعثرة في زوايا حوارها مستفيدة من منولوجها الداخلي. ففي هذه الحالة، يظهر ويعلن ذهن الشخصيّة مستفيدة من تيار الوعي وترويه كي تتقدّم عمل الرواية من جهة وتعرّف أفكار الشخصيّة الداخلية للقارئ من جهة أخرى. هذه القراءة الداخلية من الشخصيّات التي تعدّ جزأً من تيار الوعي لها دور هامّ في تقديم خالد وهو بطل الرواية. أفكار خالد عن ضميره الخالص والعرض الذي قدّمه لشخصيّته يوضح ذلك: «تساءلت ليلتها وأنا في فراشي عن ذنوبي. حاولت أن أخلّصها، أن أحصرها... فلم أجد أكبر من ذنوب غيري، بل وربّما أقلّ بدرجات... لم أكن مجرماً... ولا مقامراً... ولا كافراً... ولا كاذباً... ولا سكّيراً... ولا خائناً...» (مستغانمي، ٢٠١٢: ٣٠٧).

٤- النماذج الأولية وأنواعها في رواية ذاكرة الجسد

من الشخصيّات التي تمثل في الرواية هي النماذج الأولية: «النموذج الأول هو الشخصيّة التي يراها الروائي بطريق ما، طول حياته.» (دقيقيان، ١٣٧١هـ.ش: ٥٧) وجود هذا النوع من الشخصيّة في أعمال الكاتب يكون في بعض الأحيان مع وجودهم الحقيقي والطبيعي، وفي بعض الأحيان يأتي مع أفكار المؤلف ومن ذلك، يتم إنشاء شخصيّة جديدة، غالباً ما تعمل بشكل مختلف عن مثالها الحقيقي.

في هذه الرواية تقوم الكاتبة في بعض الأحيان بتقديم النماذج الأولية الحقيقية دون أي تغيير في ميزاتها حيث تقلل من حرارة الرواية. وقد ذكرت أكثر لغرض محدّد. وفي بعض الأحيان تضيف سمات أخرى إليها، وتقوم بإنشاء شخصيّات حيوية ورائعة في القصّة. للنماذج الأولية الشخصيّات المبكرة لها العديد من الأمثلة، بما في ذلك: الذهنية، والسياسية، والملحمية، والأدبية و...

النماذج الأولية في رواية مستغانمي غالباً ما تكون الشخصيّات الحقيقية في العالم الخارجي، وهي مصنفة في عدة مجموعات دينية، وسياسية، وتاريخية، وأدبية، وفنية.

٤-١- النماذج الأولية الدينية

هذا النوع من النماذج الأولية يشمل الشخصيّات التي يتمّ تقديسها من قبل المجتمع وهناك يندرج فيه مجموعتان عند الجزائريين وهما الشهداء والمتدينين. يعتبر سي طاهر والشهداء الأخرين من الثورة الجزائرية، الذين ذكر كثير من أسماءهم في هذه الرواية من النماذج الأولية الدينية ذات أهمية كثيرة: «أنت لم تقرأ هذا الإسم وإنّما سمعتَه فقط. إنّه اسم لشارع في الجزائر يحمل اسم أبيها (الطاهر عبد المولي) الذي استشهد أثناء الثورة» (مستغانمي، ٢٠١٢: ٢٠٤)

لقد ذكرت مستغانمي كثيراً من الذين تقدّست أسمائهم لدى الجزائريين. الذين يزورهم الناس في الظروف الحربية القاسية ومابعدها وكان هذه الأشخاص من سادة الجزائر ولهم مكانة شامخة في الرواية هذه: «جدّتي يوم كانت حبلي بأبي لم تفارق مزار (سيدي محمد الغراب) بقسنطينه، حتّى إنّها كادت تلده هناك» (المصدر نفسه: ١٠٩)

«وزرت أيضاً «السيدة المنوبية» المرأة التي كدت أحمل اسمها» (المصدر نفسه: ١١٠)

«صنعت من (سيدي محمد الغراب) أشهر مزار وليّ قسنطينيّ على الإطلاق، في مدينة يحمل كلّ شارع فيها اسم وليّ» (المصدر نفسه: ٢٩٧)

٤-٢- النماذج الأولية التاريخية

بعض النماذج الأولية التاريخية في هذه الرواية من الجزائريين وبعضها من غيرهم من الأجنبيين الذين استخدمتهم الراوية لتقدّم أحداث قصتها ونفخ روح الحياة فيها:

«وعندما انتهيت، كنت رسمت قنطرة سيدي راشد ووادي الرّمال» (المصدر نفسه: ١٦٢) « «من هنا مرّ سيفاكس... ماسّيسينا... ويوغررطة... وقبلهم آخرون» (المصدر نفسه: ٢٩٠)

«ككلّ الغزاة... أخطأ قسطنطين» (المصدر نفسه: ٢٩١)

«ومن يناقش نيرون يوم أحرق روماً حباً لها، وعشقاً لشهوة اللّهب؟!» (المصدر نفسه: ١٩)

٤-٣- النماذج الأولية الأدبية – الفنية

حضور هذا النموذج من الشخصيّة في هذه الرواية أكثر من النماذج الأخرى. الأدباء الذين ذكرت أسماءهم تشمل الأدباء الجزائريين، والعرب، والفرنسيين و... بالإضافة إلى ذكر أسماءهم، أشارت مستغانمي عادة إلى آثارهم الأدبية أو جملات منهم وبهذه الطريقة أضافت إلى جمالية الرواية: «حضرني لحظتها عنوان رواية لمالك حدّاد... «الأصفار تدور حول نفسها» (المصدر نفسه: ٣١٠)

«إنّ ما كتبه «أراغون» عن عيون «إلزا» هو أجمل من عيون «إلزا» التي ستتشيخ وتذبل... وما كتبه نزار قبّاني عن ضفائر «بلقيس» أجمل بالتّأكيد من شعر غزير كان محكوماً عليه أن يبيضّ ويتساقط» (المصدر نفسه: ١٢٥)

«عجيب... إنّ في روايات «آغاتا كريستي» أكثر من ٦٠ جريمة. ولم يرفع أيّ مرّة قارئ صوته ليحاكمهنّ على كلّ تلك الجرائم» (المصدر نفسه:١٢٦)

«سألتني مدهوشة: أتعرف شعر السياب أيضاً؟ عجيب! قلت في جواب مزدوج: أعرف (أنشودة المطر)» (المصدر نفسه: ١٦١)

«لقد قرأت حياة فان غوق... دولاكروا... غوغان... دإلى... سيزان... بيكاسو وأخرين كثيرين لم يبلغوا هذه الشهرة» (المصدر نفسه: ١٤٣)

من القضايا الجديرة بالذكر في هذه الرواية هي أن الروائية استفادت بشكل مناسب من النماذج الأولية الأدبية– الفنية تسلّط الأضواء على أحوال الفلسطينيين البشعة والجرائم التي ارتكب الصهاينة في حق أبناء هذه الأمة: «فقد مات الشّاعر اللّبناني خليل الحاوي منتحراً بطلقات نارية، احتجاجاً على اجتياح إسرائيل للجنوب» (المصدر نفسه: ٢٤٥)

وكما قامت بتعريف الفنّانين من بينهم الرسّامين الذين ذاع صيتهم في العالم وبهذا السبب خلقت علاقة وطيدة بين الأدب وفنّ الرّسم: «إنّ ما أراد أن ينقله لنا «سيزان» ليس مشهداً للعبة الورق بل مشهد من التزوير المتّفق عليه» (المصدر نفسه: ٢٠٦)

«فان غوغ... تراه فهم حقارة العالم وساديته، عندما كان يجلس محمولاً معصوب الرأس أمام تلك نافذة» (المصدر نفسه: ٢٠٩)

وكذلك أشارت إلى الموسيقيين المشهورين في العالم طالبة من القرّاء أن يستلهموا من موسيقاهم اللّطيفة: «كان يستمع دائماً إلى الأشرطة نفسها التي لا أدري من أين أحضرها... كالموسيقى الكلاسيكية... وشريط لفيفالدي وآخر لتبودوراكيس» (المصدر نفسه: ٢١٣)

٤-٤- النماذج الأولية السياسية

معظم السياسيين الذين أشيرت إليهم الروائية كانوا من الجزائريين الذين ينتمون إلى زمن النضال ضد الاستعمار الفرنسي. ويلعب هؤلاء المبارزون الحقيقيون في تاريخ الجزائر كشخصيّات الرواية ولهم دورٌ هامّ في تقدّم عمليات سرد الروائي بأعمالهم ويعرضونها للقارئ كمشهد حقيقي:

«وهناك صوت (عبد الكريم بن وطاف) الذي كانت صرخات تعذيبه تصل حتّى زنزانتنا، خنجراً يخترق جسدنا أيضاً ويبعث فيه الشحنات الكهربائية نفسها» (المصدر نفسه: ٣٢٠)

«وهنالك (بلال حسين) أقرب صديق إلى سي الطاهر، أحد رجال التاريخ المجهولين، وأحد ضحاياه» (المصدر نفسه: ٣٢٠)

«في الزنزانة كان ثلاثون من قادة الثّورة ورجالها الأوائل، ينتظرون موثقين، تنفيذ الحكم بالإعدام عليهم، بينهم مصطفى بن بولعيد، والطاهر الزبيري، ومحمد لايفا، وإبراهيم الطيب، ورفيق ديدوش مراد، وباجي مختار وآخرون» (المصدر نفسه: ٣٢٣)

٥- تأثير عناصر القصّة الأخرى في توصيف شخصيّات رواية ذاكرة الجسد

مما لاشكّ فيه أن واحدة عوامل خلود الرواية هي علاقة مناسبة بين شخصيّات الرواية مع عناصر القصّة الأخرى والأثر الذي تخلّفته على عنصر الشخصيّة، وسيتم تحليلها في هذا القسم:

٥-١- أسلوب الحكاية والشخصيّة

كان الكاتب عادة يعين أسلوب حكاية قصتة في عباراته الأولى. «أسلوب الحكاية أو زاوية الرؤية هي التقنية المستخدمة لسرد القصّة المتخيلة، والذي يحدّد شروط اختيار هذه التقنية دون غيرها، هو الغاية التي يهدف إليها الكاتب عبر الراوي» (لحمداني،٢٠٠٠: ٤٦)

بعبارة أخرى: «أسلوب العرض هو الطريق الذي يبرز الكاتب موادّ قصّته إلى القارئ مستعيناً منه؛ وفي الواقع، يبيّن ارتباط الكاتب مع قصّته» (ميرصادقي، ١٣٨٨: ٣٨٣).

لهذا أسلوب الحكاية يتعهّد تقديم موادّ القصّة إلى القارئ ويؤثّر في عناصر القصّة الأخرى أيضاً. ومن ثمّ، فاختيار أسلوب العرض المناسب كان له دور هامّ في نجاح الأثر.

كانت أحداث الرواية المذكورة، حكيت من قِبَل خالد وهو الشخصيّة الرئيسية -كما ذكرناه- وتمنح الروائية الفرصة للشخصيّات كي تقدّم نفسها بتصرّفاتها وحوارها مع الراوي. بما أن لهذه الشخصيّات، نماذج حقيقية في الخارج وتعتبر كالشخصيّات التي شاركت في الثورة الجزائرية وما أعقبها، تمنح مستغانمي هذه الفرصة للشخصيّات وتطلقها كي تعرّف نفسها إلى الأخرين بتصرّفاتها أكثر فأكثر، الأمر الذي ينبئنا بالتزام الروائية لتقريب شخصيّات الرواية إلى الحقيقة. وهكذا يصف خالد زياد في أول التقاءه به: «ما الذي شفع له عندي في تلك اللحظة؟ ترى هويته الفلسطينية، أو تلك الشجاعة التي لم يواجهني بها كاتب قبله، أم ترى عبقرية الشعرية» (المصدر نفسه: ١٥٠)

٥-٢- موضوع (تمّ) القصّة والشخصيّة

كان المضمون يعدّ المكوّن الأساسي الآخر لأي نصّ سردي. وهو ذلك الفكر السائد على جوّ الأثر الذي يجعل الكاتب يكتب قصّته على أساس ذلك: و«علاقة ترتبط أجزاء القصّة بعضها ببعض. ومن وجهة نظر بعض النقّاد يدلّ على شخصيّة الكاتب الفكرية»

(الهه بهشتي، ١٣٧٦هـ.ش: ٦١)

موضوع الرواية هو تذّكر ذكريات الحرب الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي وشرح مشاكلها. الحرب التي ليست فقط تؤدّي إلى أضرار لايمكن إصلاحها على جسد المجتمع، بل تركت آثارها السلبية على أجساد ونفوس الجزائريين. حيث نرى أثرها في تعاطف خالد مع استشهاد والد أحلام والتعبير عن جرح نفسه في الحرب: «كان جرحي واضحاً وجرحك خفياً في الأعماق. لقد بتروا ذراعي، وبتروا طفولتك. اقتلعوا من جسدي عضواً... وأخذوا من أحضانك أبا... كنّا أشلاء حرب... وتمثالين محطّمين داخل أثواب أنيقة لا غير» (مستغانمي، ٢٠١٢: ١٠٢)

٥-٣- زمان القصّة والشخصيّة

تبدأ قصّة رواية ذاكرة الجسد في الوقت الحاضر وبعد فترة قصيرة، تشير إلى ذكريات من الماضي وتبدأ بإعادة بناء ذكريات الحرب الجزائرية حتى ثورتها. معظم الشخصيّات التي تذكر اسمها في هذه الحقبة الزمنية كانت شخصيّات حقيقية، الشخصيّات التي كانت مقاتلة في ذلك الوقت: «مازالت لحية (ابن باديس) و كلمته تحكم هذه المدينة حتّى بعد موته» (المصدر نفسه: ٣١٨)

وكذلك يقوم الراوي بتقديم سي طاهر كقائد حربي فذّ في السنوات الأخيرة من الحرب الجزائرية يعني سنة ٦٢: «كان والدك رفيقاً فوق العادة... و قائداً فوق العادة... لم يكن من المجاهدين الذين ركبوا الموجة الأخيرة، ليضمنوا مستقبلهم، مجاهدي (٦٢) و أبطال المعارك الأخيرة» (المصدر نفسه: ٤٤)

٥-٤- مكان (مشهد) القصّة والشخصيّة

إنّ المشهد (البيئة الزمانية والمكانية) يلعب دوراً هامّاً في العمل القصصي، سواء في حياة الأبطال وتحرّكهم مع القوي المختلفة في بيئة معينة، أو في خلق أنماط من الأحداث، أو تطويرها، أو في صياغة النسج الروائي بشكل عام. «الأحداث والشخصيّات تجري في المكان وبشكل ما يجعلها المكان فيه» (محبک، ٢٠٠١: ١٤٧).

يحدّد المكان والبيئة المعيشية، هوية الشخصيّات ويكشفان عن الحقائق الاجتماعية. خطاب خالد يعرض الأفكار التي تجري في رأسه ويعكس الحقائق الثقافية التي يعيش فيها: «لم أكن أتصوّر بيتك هكذا. إنّه رائع ومؤثّث بكثير من الذوق! سألتك: كيف كنت تتصوّرينه إذن؟ أجبتني: بفوضى... وبأشياء أكثر. قلت لك ضاحكاً: لست في حاجة إلى أن أسكن شقّة مغبّرة، بأشياء كثيرة مبعثرة لأكون فنّاناً. إنّها فكرة أخرى خاطئة عن الرّسامين. أنا مسكون بالفوضى، ولكنّني لا أسكنها بالضرورة. إنّها طريقتي الوحيدة في وضع شيء من الترتيب داخلي» (مستغانمي، ٢٠١٢: ١٥٩).

كان الراوي في تعريفه عن شخصيّة سي شريف وإنتماء شخصيّته الرمزية إلى مدينة قسنطينة كرمز للمقاومة أمام استعمار الأجانب وكذلك الجزائر مع جذورها العريقة، ويعتقد أن شخصيّته تحمل هذه الخصائص بأكملها: «كنت أحبّ سي الشريف. كان فيه شيء من هيبة قسنطينة وحضورها، شيء من الجزائر العريقة وذاكرتها» (المصدر نفسه: ٢٣٢)

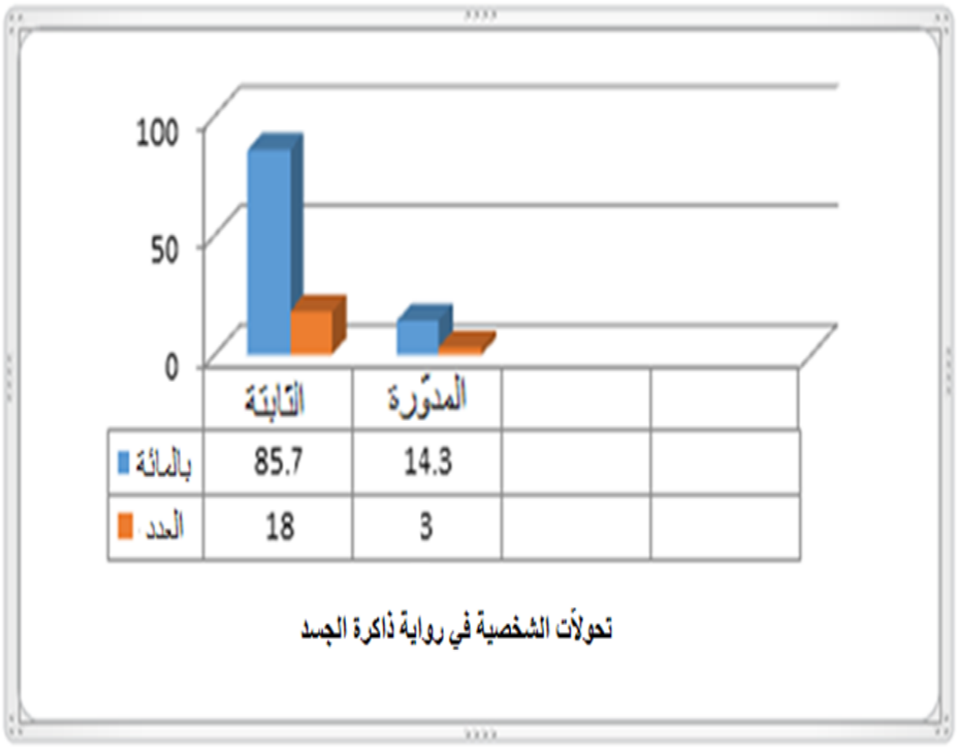

تحولات الشخصية في رواية ذاكرة الجسد

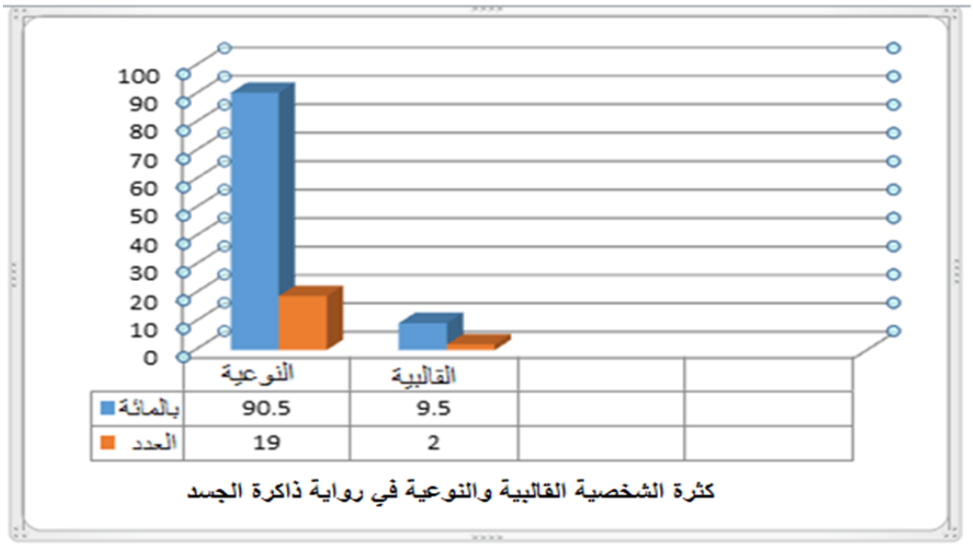

كثرة الشخصية القالبية والنوعية في رواية ذاكرة الجسد

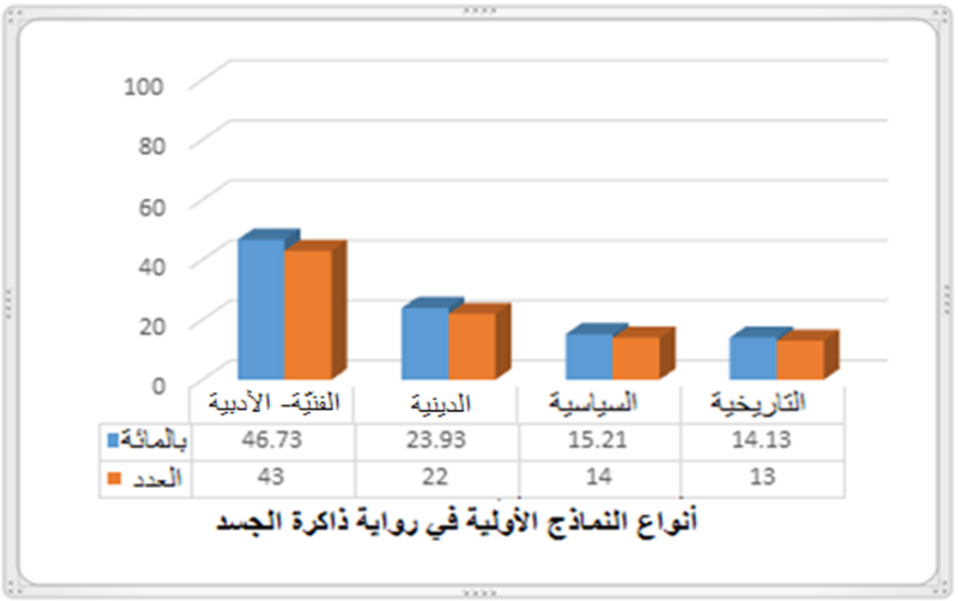

أنواع النماذج الأولية في رواية ذاكرة الجسد

النتيجة

تمَّ تصوير شخصيّات رواية ذاكرة الجسد الّتي غالباً ما تكون واقعية وممثّلة للنّاس في وقتهم، بكلّ طموحاتها في المشهد، ونحن نرى أنواع الشخصيّات الّتي تشتمل الثّابتة، والمدوّرة، والأصليّة، والنوعيّة، تمثّل في الرواية. ومن خلال المواجهة التي تجري بينها، يتمّ الكشف عن الهويّات الخفيّة لكلّ منها للقارئ. الشخصيّات الّتي بقت على معتقداتها حتّى نهاية القصة أو أنّها غيّرت هويّاتها لأغراضها الخاصّة وقد اختارت طريقة أخرى غير ماضيها الزّاهرة لحاضرها ومستقبلها. كانت الكاتبة في عملها الروائي جنباً إلى جنب مع إشارات مباشرة إلى الشخصيّات، تصفها من خلال الحوار، والسّلوك، والمظهر، وحتّى أسماء الشخصيّات. إضافة إلى هذا، فإنَّ للزّمان، والمكان، وأسلوب الحكاية، وموضوع القصّة أثراً مهمّاً في تقديم الشخصيّات. النماذج الأوليّة الّتي تشمل الأنواع المختلفة ومن بينها الأدبيّة– الفنيّة، والدينية، والسياسيّة، والتاريخيّة، تلعب دوراً رئيسياً في إثراء العمل الأدبي هذا.

بالنظر إلى أنَّ لشخصيّات هذه الرواية أمثال حقيقية في العالم الواقعي، وبعبارة أخرى لها أمثال حقيقية شاركت في الثورة الجزائرية والأحداث التي جرت في ما بعدها؛ أوّلاً أفادت الكاتبة من زاوية رؤية الشخصيّات الأصلية والفرعية لتقديم الشخصيّات بعضها، وهذه الطريقة من التّشخيص تصوّر الشخصيّة أكثر واقعية. ثانياً تمنح مستغانمي هذه الفرصة للشخصيّات وتطلقها على نفسها كي تعرّف نفسها إلى الآخرين بتصرّفاتها أكثر فأكثر، الأمر الّذي ينبئنا بالتزام الرواية لتقريب شخصيّات الرواية إلى الحقيقة.

في البداية، العنوان الجميل الّذي اختارته المؤلفة لعملها الأدبي بمهارة خاصّة، يثير القرّاء أن يكونوا مرتبكين ومهتمّين بفهم سرّ هذه الاختيار، وبعد أن تبدأ القصّة ومن خلال كلمات الراوي والأحداث الّتي تقع فإنّهم يدركون حياة الأشخاص الّذين يحملون كلّ ذكرياتهم السابقة كرموز على أجسادهم.

المصادر

برين، لورانس (٢٠٠٢م)، **الأدب القصصي، والبنية، والصوت، والمعنى**، ترجمه إلى الفارسية حسن سليماني وفهيمة اسماعيل زادة، الطبعة الثالثة، طهران، نشر حافظ.

بستاني، محمود (١٩٩١م)، **الإسلام والفنّ**، ترجمه إلى الفارسية حسين صابري، الطبعة الأولى، مشهد، عتبة القدس الرضوية.

بهشتي، الهة (١٩٩٧م)، **عوامل القصّة**، الطبعة الثانية، طهران، نشر برگ.

بيشاب، لئونارد (٢٠١١م)، **دروس حول كتابة القصة**، ترجمه إلى الفارسية محسن سليماني، الطبعة الثالثة، طهران، نشر السورة.

حسن، العدوان و سعد عودة (٢٠١٠م)، **الشخصيّة في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية**، دراسة في ضوء المناهج النقدية، غزة، الجامعة الإسلامية.

خليل، محمود إبراهيم (٢٠١٠م)، **بنية النص الروائي**، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للعلوم، ناشرون.

داد، سيما (٢٠٠١م)، **قاموس المصطلحات الأدبية**، الطبعة الثانية، طهران، نشر مروارید.

دقيقيان، شيريندوخت (١٩٩٢م)، **مصدر الشخصيّة في الأدب الخيالي**، دون مكان.

رضائي، عربعلي (١٩٩٩م)، **المفردات الوصفية للأدب الإنجليزي – الفارسي**، طهران، نشر الثقافة المعاصرة.

زيتوني، لطيف (٢٠٠٢م)، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.

سليماني، محسن (٢٠٠٧م)، **فنّ الكتابة**، الطبعة الأولى، طهران، نشر أميركبير.

شيري، قهرمان (٢٠٠٨م)، «**التسمية في الأيام الماضية لكبار السنّ: مفاتيح لفهم مضمون الرواية**»، مجلة فصلية محكمة بجامعة الزهراء (س)، سنة ١٨، رقم ٧٤.

فولادي تالاري، خيّام (١٩٩٨م)، **عناصر القصص العلمية– الخيالية**، الطبعة الأولى، طهران، نشر ني.

لحمداني، حميد (٢٠٠٠م)، **النص السردي من منظور النقد اللغوي**، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

محبک، أحمد زياد (٢٠٠١م)، **دراسات نقدية من الأسطورة إلى القصّة القصيرة**، الطبعة الأولى، دمشق، دار علاء الدين.

مرتاض، عبدالملك (١٩٩٨م)، «**في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)**»، مجلة عالم المعرفة، العدد ٢٤٠.

مستغانمي، أحلام (٢٠١٢م)، **ذاكرة الجسد**، الطبعة الخامسة عشرة، بيروت، دار الأدب.

ميرصادقي، جمال (٢٠٠١م)، **عناصر القصّة**، الطبعة الرابعة، طهران، نشر سخن.

ميرصادقي، جمال، وميمنة ميرصادقي (١٩٩٨م)، **قاموس فنّ الكتابة (قاموس مصطلحات الأدب القصصي)**، الطبعة الأولى، طهران، نشر كتاب مهناز.

نجم، محمد يوسف (١٩٧٩م)، **فنّ القصّة**، الطبعة السابعة، بيروت، دار الثقافة.

وهبة، مجدي (١٩٧٤م)، **معجم مصطلحات الأدب**، لا ط، بيروت، مكتبة لبنان.
يونسي، إبراهيم (٢٠٠٩م)، **فنّ الكتابة**، الطبعة السادسة، طهران، نشر نگاه.